

علاقة اللغة العربية بالسيادة الوطنية والهوية

إعداد الدكتور / عبد الله محمد الأمين أحمد

مارس 2012

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا البحث جاء محاولة جادة لدراسة علاقة اللغة العربية بالهوية، وإبراز أثر ذلك في بناء الشخصية العربية لإعادة دورها الحضاري، حيث إن قوة كل أمة تعني استمراريتها في أخذ دورها بين الأمم؛ ولا يتأتى هذا الدور إلا عن طريق اللغة التي هي في الأصل وعاء خصوصيات كل أمة، وهي الأداة الوحيدة لنقل عناصر الثقافة ومكوناتها إلى الأجيال. ومن هنا كانت قوة كل لغة، وسعة انتشارها وتماسك بنائها دليلاً على قوة ثقافتها، وضمان استمرارها وهيمنتها، وإثبات لأصول هويتها. وما تقوم به هذه الدراسة لا يتعدى كونه مجرد إشارة إلى دور اللغة العربية في بناء أسس السيادة الوطنية، وأثر ذلك في رسم ملامح الهوية العربية، ومن هنا جاءت أهميته التي تكمن في أنه يحاول سبر غور مسألة مهمة؛ وهي علاقة اللغة العربية بالهوية، وهو أيضاً تلمس لإبراز حجم الحضور اللغوي للعربية من خلال إبراز دورها الثقافي والفكري، والسعي من أجل أن تستعيد اللغة العربية دورها، كما يهدف في مجمله إلى بيان مكانة اللغة العربية بين اللغات الأخرى وما كان من دور سيادي تجلي في عصور ازدهارها الأدبي والعلمي فهي مبدعة الحضارة العربية الإسلامية، وحافظتها، وراويتها بين الأجيال، وذاكرتها على مر العصور، وهي أيضاً لغة الإبداع العربي قبل الإسلام، ولغة الإعجاز الإلهي بعده، فهي المبدعة المعجزة حملها الإسلام رسالة العالمية، وأكسبتها العروبة قدرة التبليغ.

إن اللغة العربية هي فكرنا ووجداننا، وذاكرتنا الجماعية، وقد بلغت أوج رفعتها في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وذلك بفضل جهود أبنائها من العلماء والمفكرين، وبفضل التراكمات المعرفية والحضارية التي عرفتها الحياة الفكرية - وهي قادرة الآن - أن يكون حاضرها أكثر ازدهاراً من ماضيها، لو أن الأجيال العربية الحاضرة أظهرت قدراً من الاعتزاز بها، والعناية بحسن استعمالها، والاهتمام بها،

والجدية في العمل من أجل إعادة فاعليتها الثقافية. وبهذا تعيد لتراث أمتها شخصيتها وسيادتها وهويتها.

وقد اختار الباحث المنهج الوصفي التحليلي مع الميل قليلاً إلى المنهج التاريخي عند تناول دور اللغة في تشكيل ملامح الهوية والسيادة في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية.

وقد تشكل البحث في صورته الأخيرة وجاء مشتملاً على المقدمة ومدخل عام وثلاثة مباحث مع الخاتمة والنتائج والتوصيات.

وقد تضمن المدخل العام دور اللغة العربية في التواصل الفكري والحضاري بين الأجيال، وعلاقتها بالقومية والهوية، مع الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بها من أجل استعادة الدور الحضاري لأمتنا. وأما المبحث الأول فقد جاء بعنوان: اللغة العربية والنفوذ السياسي والثقافي والديني قبل الإسلام ، وقد تضمن رسداً للواقع اللغوي في العصر الجاهلي وأثره في بناء الشخصية العربية ، وأما المبحث الثاني فقد حمل عنوان : علاقة اللغة بالهوية الإسلامية. وقد خصص هذا المبحث لبيان العلاقة السياسية بين اللغة والدين في مدى الترابط والالتحام وإظهار دور اللغة وتمددتها في العالم فكراً وعملاً وحضارة وثقافة.

وأما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان : الواقع اللغوي والهوية العربية.

وقد تضمن هذا المبحث وصفاً شاملاً لواقع اللغة العربية في عصرنا الحاضر، ومحاولة الربط بين القيم الثقافية التي تبرز هوية الأمة وتوحد بين أبنائها، وتحافظ على تراثها وإعادة مجدها الأدبي والعلمي، والخاتمة التي تضمنت أهم النتائج والتوصيات مع قائمة بالمصادر والمراجع والدوريات.

بسم الله الرحمن الرحيم
مدخل عام

اللغة العربية هي أساس التواصل الفكري والحضاري بين أبناء الأمة العربية، وحبل الوصل بين المجتمعات العربية، وهي عروة العروبة، ودعامتها القومية، إلى جانب أنها أهم معالم سيادتها وهويتها، وهي أيضاً حلقة الوصل بين الأمم التي شرفها الله بالإيمان العلمي اليقيني، الجامع لكل أسرار خاتم وحي الله القرآن المجيد، وهي الراية ذات الظلال التي تظل كل أمة أسلمت، وزهت وفخرت واعتزت وسعدت بلغة وحي الله لغة العرب، وتطوعت لدرسها والتعمق فيها.

وتكمن أهمية هذه اللغة وعظمتها في أن الله اختارها لتكون لغة الكتاب المعجز، فأنزلها من السماء روحاً حية خالدة إلى الأبد، أنزلها بأمره لتكون عيداً لأولنا وآخرنا، فكل حياتنا فيها، ولو بحثنا سائر لغات الدنيا لم نجد لغة تتطبع حية خالدة كأنها وليدة العصر غضة بضة فتانة ساحرة سوى اللغة العربية، فهي اللغة المتطورة المتجددة بسر الروح التي نفخها الله في بيانها الخالد، وفي جمال أساليبها⁽¹⁾.

واللغة العربية هي وعاء الكتاب الخالد بها أنزل وحفظ، وكل معلم ومتعلم في حاجة إليها، لأنها أساس كل علم ومناطه، فالعربية خير اللغات والإقبال على تفهمها من الدين، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، كما أنها أمّتن اللغات، وأوضحها بياناً وأذلقها لساناً، وأعذبها مذاقاً، ومن ثمّ فقد اختارها الله تعالى لأشرف رسالة، وجعلها لغة أهل سمائه، وسكان جنته⁽²⁾.

وقد أثبتت الدراسات اللغوية أنه لا توجد لغة في العالم قديماً أو حديثاً نالت ما نالته اللغة العربية من العناية، والنظر، والدرس، والتحليل، واستنباط الأحكام والقوانين حتى اكتملت بنيتها، وتأكدت هويتها، واستقرّ لها كيانها، وذلك لأن إيثار القرآن لها، وتشريفه بالنزول بها، جمع حولها الدارسين من المسلمين وغيرهم، وشدّهم إلى الانشغال بها بالنظر الدائب، والفكر الثاقب، هادفين إلى الحفاظ عليها، والكشف عن

(1) انظر: طلائع الفكر والأدب ج1. هاشم الدفتردار المدني - الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية ط1، 1984م، ص 17.

(2) راجع في فضل اللغة العربية د. أحمد عبده - مركز الكتاب - القاهرة ط 1 - 2000م ص 5.

أسرارها، والاسترشاد ببلاغتها ورقة بيانها حتى تبقى لسان دينهم على مرّ العصور والأيام، وتظل أمانة شخصيتهم وهويتهم وقوميتهم.

وعند الإشارة إلى فضل الإسلام على اللغة العربية، يقول كمال بشر⁽¹⁾ :
"ونحاول إجمال خطوط وخطوط أثره وتأثيره فيها، وبلورة هذه الخطوط والخيوط ، حتى صارت هذه اللغة نسيجاً عبقرياً ذا خصوصيات ترشحه لحماية الجسم العربي ووقايتها من عوادي الزمن، وتحرس الروح الدينية الإسلامية، وتصون مسيرتها هنا وهناك من العالم أجمل، يتمثل ذلك كله في تلك الحقيقية الواقعة الناصعة وهي بقاء العربية شامخة ببنيانها، مزهوة بموقعها الفريد الذي جباها الله به بفضل الإسلام والقرآن الكريم، دستور هذا الدين"

ومن هنا نجد اللغة من أهم وأقوى الأسس التي تكوّن القومية، وتحدّد معالم الهوية ، وقد رأى الدكتور كمال بشر ذلك من خلال ما صاغه لنا من آراء لبعض المفكرين وخاصة رأي (أرنت) الذي كان يحدد الوطن الألماني بحدود اللغة الألمانية، ويكشف عن فاعلية اللغة في تماسك المجتمعات، ويؤكد أنها وعاء الشعور والعواطف، وأنها جماع كل مقومات السيادة الوطنية والهوية.

وقد أدرك جمال الدين الأفغاني أهمية النظر إلى اللغة العربية؛ أي لغة العرب القومية التي توحد بين أهدافهم وغاياتهم، وكان رأيه في "الإصلاح اللغوي" أساس كل إصلاح، إذ الأمر عنده يجب أن يبدأ بالنفوس والعقول، ولا سبيل إلى إصلاح هذه النفوس وتلك العقول إلا بإنشاء مدرسة جديدة من الكتاب والمفكرين ولن تفلح هذه المدرسة الناشئة إلا إذا أحييت أساليب اللغة العربية.

وقد كان فيلسوف الشرق يقظاً داعياً يدرك تمام الإدراك أنّ اللغة العربية سلاح يرهبه المستعمرون دائماً، ذلك لأنها أداة الوحدة وسبيل القوة ، وأساس السيادة الوطنية.

(1) انظر: علم اللغة الاجتماعي - د. كمال بشر دار غريب - القاهرة ط3، 1997م ، ص 320.

واللغة هي حفاظ على الشخصية وملاح الإنسان، وهي روح الأمة وحياتها، وتمثل في حقيقتها أهم عناصر الهوية، وإن حياة الأمم تقوم بلغتها بوجه عام، أما الموت بالنسبة إلى الأمة ليس في حقيقة الأمر إلا ضياع لغتها.

ولغتنا الجميلة تمتلك كل مقومات السيادة؛ لأنها تمثل أطول الآداب العالمية عمراً على الإطلاق فهي اللغة التي يستطيع أبناؤها قراءة خمسة عشر قرناً من الإبداع في حين أن تاريخ اللغات الأخرى لا يزيد عن خمسة قرون (1).

واللغة العربية تمثل المضمون الروحي لشخصيتنا العربية، وهي مناط قوميتنا، وأساس تراثنا، ومادة ثقافتنا وحضارتنا، وهي مستودع رسالة السماء الخالدة، ولذا فلا تتفصل عن الدين، فقد سارت في ركاب الإسلام، فكانت أداة التواصل الروحي والديني والفكري بين الأمم والإسلام.

إن الدعوة إلى استعادة اللغة العربية مكانتها الحضارية من حيث كونها لغة الفكر والأدب ولغة الفن والعلم في مجالاته المختلفة، مع إدراك أمتنا العربية في أقطارها الممتدة من أفريقيا إلى آسيا أن تحررها الوطني وسيادتها الوطنية واستقلالها السياسي لا يمكن أن يتكامل إلا باستعادة هويتها من خلال لغتها العربية "وليس ت هذه اللغة مثل سائر اللغات القومية، وإنما تتميز عنها جميعاً بميزتين أساسيتين : أولهما : أنها لغة القرآن الكريم الذي حفظها وأعطى لأمتنا العربية مقوم وجودها الحضاري الإنساني. وثانيهما : تلك التجربة التاريخية الخصبة التي مرّت بها هذه اللغة، عندما استطاعت في فترة من تاريخها الزاهر ، أن تستوعب حصيلة المعرفة الإنسانية، وتصبح بعد ذلك لغة العلم والحضارة في العالم أجمع" (2).

ومن الحقائق التي يجع عليها المفكرون أنّ في اللغة العربية تتجلى قدرات الأمة العربية والإسلامية وإمكاناتها، كما تُبيّن وبجلاء شخصيتها وعبقريتها ، وما نال من هذه إلا تقاعس أبنائها، وعجزهم عن أن يعرفوا قيمة ما بين أيديهم.

(1) انظر: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية - ساطع الحصري - ط 3 القاهرة 1957هـ - ص 17.

(2) راجع : اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث - أ.د. عبدالكريم خليفة . دار الفرقان - عمان - ط1، 1992م ص 143 وما بعدها .

يقول الأستاذ محمد أحمد خلف الله في معرض حديثه عن العناصر التي تدخل في تكوين هويتنا : إن اللغة تأتي على رأسها، إذ هي : "الأصل في بناء الهوية من حيث إنها الكائن الذي خرج من أعماق المجتمع من خلال التفاعل مع الطبيعة، والظروف التاريخية والحياة بصفة عامة. واللغة لا ينظر إليها على أنها أداة تخاطب فحسب، وإنما ينظر إليها على أنها الوعاء الثقافي للمجتمع، أو المخزون الثقافي الذي يشتمل على الآداب والفنون، والأخلاق والأحلام والآمال والمثل العليا، إنها الرباط الذي يربط الأحياء بعضهم ببعض، والرباط الذي يربط السلف بالخلف"⁽¹⁾.

وإذا كانت العقيدة برهاناً على قوة الإيمان، فالحفاظ على اللغة دليل على قوة الشخصية، فاللسان عنوان الإنسان فهو المعبر عنه، وبغيره يكون الإنسان كالحیوان الأعجم غير المبين، وثمة ارتباط قوي بين العقل والعلم وإتقان البيان إنه علامة العقل والعلم معاً، ولهذا وجدنا الأمم على مرّ العصور تهتم بلسانها وتجعله عنوان حضارتها، ولهذا عدّ العرب كل من لا يعرف لسانهم أعجمياً كما عدّوا الاهتمام باللغة من الدين، قال ابن تيمية - رحمه الله - : "إن هذا اللسان من الدين والحفاظ عليه حفاظ على دين الله الحق الإسلام"⁽²⁾.

وإن الاهتمام باللغة يُعدّ من أهم الملامح القومية للأمم، فاللغة هي شخصية الأمة والرباط والجامع بين أبنائها : "ذلك أن اللغة هي اللسان المعبر عن كل ما عداه من المقومات الأخرى، فهي التي تسجل تاريخ الشخصية القومية، وهي التي تحدث بحضرتها وهي التي تتأدب بأدبها وتراثها، تعبر عن قيمها، وحركة عقلها ونبض قلبها"⁽³⁾.

وقد اهتم الناس بدراسة لغاتهم ، ولا تكاد توجد أمة لم تقم بدراسة لغتها، وقد عرف عن الهنود والرومان واليونان القدماء منذ عهود سحيقة اهتمامهم بدراسة

(1) انظر : علاقة الهوية والتراث بالإسلام . محمد أحمد خلف الله - المركز الإقليمي للبحوث - القاهرة-ط2
1985م ص 23.

(2) ابن تيمية . تقي الدين أحمد بن عبدالحليم. اقتضاء الصراط المستقيم . تحقيق محمد حامد الفقي (د.ط)
بيروت- دار المعرفة ص 37.

(3) أحمد هيكل . في الأدب واللغة - الدار المصرية للكتاب - القاهرة - ط4، 1998م - ص 117.

لغاتهم، ولا تتكر عين ما قام به العرب في خدمة لغتهم، ولعله يكون أكبر مجهود علمي حظيت به لغة من لغات العالم، وذلك لأن النظرة إلى العربية ارتبطت بالدين الحق وكتابه الخالد، ومن ثم كان الاهتمام بها من منطلق ديني مقدس، وهو ما كفل لها الخلود والبقاء والتطور والانتشار⁽¹⁾.

وهذا البحث محاولة لرسم ملامح علاقة اللغة العربية بالسيادة الوطنية والهوية، وسوف يحاول الباحث أن يبين هذه العلاقة على طول عمر هذه اللغة الشريفة من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، وأن أردنا أن نقف على علاقة هذه اللغة بالهوية لأبد من بيان أنّ العرب أحبوا لغتهم حباً جماً ، حتى قبل الإسلام، فسموا من لا يتكلم العربية "أعجمياً" وفي ظل الإسلام تعارف علماءها وكثير من أبنائها على أن اللغة العربية هي أشرف اللغات.

ولعل من دلائل الالتفات إلى فهم اللغة ، ربطها بالسيادة الوطنية والهوية أن بعض الخلفاء والولاة والأمراء جعلوا إتقان اللغة العربية جواز مرور للدخول إلى مجالسهم، وأصبح تعلم اللغة مفتاحاً للولوج إلى قصور الحكام والخلفاء. - وهذا ما فصله لاحقاً - ، وكان من أراد رفعة الدنيا وفلاح الآخرة تعلم اللغة والأدب ليفهم كتاب الله تعالى، ثم يتبحر في العلوم بعد ذلك ما شاء، لكن اللغة هي الأصل والأساس لكل العلوم، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب τ : "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خملاً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسبت إليه"⁽²⁾.

وقد تحدث علماء العربية عن قيمة هذه اللغة وفضلها، وأثرها في بناء شخصية الإنسان، والأقوال في ذلك كثيرة . منها قول رجل لبنية : "يا بني أصلحوا ألسنتكم فإن الرجل تتوبه النائبة ، يحتاج أن يتجمل فيها فيستعير من أخيه دابة ومن صديقه ثوباً ، ولا يجد من يعيره لساناً"⁽³⁾.

(1) راجع: اللغة العربية ومشكلاتها وسبل النهوض بها . د. السيد خضر - القاهرة . ط1، 2003م ص 19.

(2) معجم الأدباء . ياقوت الحموي . ط . دار الكتب العلمية - بيروت - 1991م ، ص 11.

(3) راجع : في فضل اللغة العربية - د. أحمد عبده ص 5.

فاللغة العربية إذن هي أساس الشخصية إلى جانب أنها لغة الفكر والعقيدة والحياة، ولغة دين لا يعرف لغيرها ذلك، ولغة أمة لا تستطيع أن تكون خير أمة بغير هذه اللغة.

يقول أحد المهتمين بأمر اللغة : "خدمة العربية هي الباب النبيل الذي نلج به لخدمة الثقافة العربية والحضارة الإسلامية عبر الخصائص الذاتية لهذه الأمة، التي اعتصمت بلغتها التي نزل بها القرآن الكريم هدى للناس وبيان من الهدى والفرقان، وقاد طريقها بحكمة الشرع ونور العقل إلى أعظم حضارة عرفها الإنسان، انفتحت على ما سبقها بلا وجل ولا تهيب ولا عُد، فترجمت إلى العربية وتمثلت وأبدعت ثم أعطت العربية خلاصة رحيق حضارتها للعالم"⁽¹⁾.

ومن هنا لابدّ من الاهتمام الكبير باللغة العربية وتعلمها وتعليمها في كل المجالات فهذا مطلب أساس من مطالب النهضة المرجوة لأمتنا، وإن الحفاظ على اللغة العربية ونشرها عمل من صميم الدفاع عن مقومات الشخصية العربية، والزود عن مكونات الكيان العربي الإسلامي، وعن خصوصيات المجتمعات العربية الإسلامية، وعمل بهذه الأهمية لابدّ أن يدخل ضمن خطة بناء المستقبل ورسم معالمه ، فاللغة العربية ركن أساسي من أركان الأمن الثقافي والحضاري للأمة العربية الإسلامية في حاضرها وفي مستقبلها، واللغة العربية هي القاعدة المثبتة للسيادة الوطنية والقومية الإسلامية، وهي ليست لساناً فحسب ولكنها عنوان لهذه السيادة"⁽²⁾.

وهذا القول يؤكد ارتباط العرب بالعربية، ولا سبيل إلى فك هذا الارتباط لأن لغتنا القومية تأتي في الصدارة، وهي من المقومات المعنوية المميزة والمحددة للشخصية العربية، فاللغة ومعها قيم أمتنا، وثقافة شعبنا، وعاداتنا وتقاليدنا، تمثل أهم مقومات شخصيتها، ويبنى عليها الطابع الذي يميزنا، شأننا في ذلك شأن كل الأمم الأخرى، وخاصة ما كان منها ذا أصالة وحضارة وتاريخ"⁽³⁾.

(1) انظر: في سبيل العربية . د. هيثم الخياط - دار الوفاء - القاهرة ط 1 - 1997م ص 7.

(2) راجع: في اللغة والأدب - أحمد هيكل ص 117.

(3) راجع في اللغة والأدب . د. أحمد هيكل ص 117.

واللغة من أهم مقومات الحياة العلمية والثقافية وما من ثقافة في مجتمعنا العالمي المعاصر إلا وتتمنى نشر لغتها، واللغة عنصر أساسي في الحفاظ على هوية الأمة، وفي التمسك بالتقاليد والتراث الديني باعتباره عاملاً أساسياً في تماسك نسيج المجتمع ، وتعزيز الاستقرار الاجتماعي.

واللغة هي الوسيلة لمعرفة الماضي البعيد والقريب، ونحن لا نعرف عن الوجود القومي والحضاري لأمة ما في التاريخ إلا من خلال مخلفاتها وآثارها ... إذن فاللغة هي مفتاح معرفتنا لما في الحضارات القديمة.

والعلاقة -إذن- بين اللغة والثقافة علاقة جدية يصعب معها الفصل بين ثقافة شعب ولغته، وحسبك أن تعرف لغة شعب حتى تعرف خصائص ثقافته أو أن تعرف ثقافة مجتمع حتى تعرف خصائص لغته . وعلى حد تعبير جمال الدين الأفغاني "أنه لا سبيل إلى تمييز أمة عن أخرى إلا بلغتها" واللغة العربية حاملة لثقافتين هما الثقافة العربية والإسلامية.

واللغة العربية استطاعت أن تنتقل للعالم الحضارة الإسلامية ، وألقت كلمة الإسلام في سمع العالم عندما تضاءلت الحضارات الأخرى وعجزت لغاتها على أن تؤثر في الشعوب الأخرى مثلما أثرت اللغة العربية، وما كان ذلك ليتحقق لولا الحب الحقيقي للعربية من أبنائها، وحرص على نشرها، وذلك لما أحس به العرب في هذه الأثناء من أن هويتهم مرتبطة بلغتهم وذاتيتهم الثقافية بين الذوات الثقافية تدعم بقدر دعمهم للغتهم وحرصهم عليها خالصة من كل شائبة ، تقيه من كل لحن، وبهذا كان التعبير عن هوية أمة تكاملت عندها مطالب الدنيا والدين.

المبحث الأول

اللغة العربية والنفوذ السياسي والثقافي قبل
الإسلام

اللغة كما يقرر أكثر علمائها ، لا تقتصر وظيفتها على التفاهم بين الأفراد، وإنما يتجاوز ذلك إلى أنها الأداة التي يتعلم ويفكر بها الإنسان، فهي تقود عقله وتوجهه، وبها يستدل على السلوك القويم مع الآخرين، وهي فضلاً عن ذلك تحفظ التراث الثقافي للمجتمعات، فهي إذن منظمة العلاقات الاجتماعية ، ووسيلة التعامل والتعاون بين أفراد المجتمع ؛ وأهم أدوات الحفاظ على كيانه وشخصيته. ويتبع ذلك أنها العامل الأول في انتشار الثقافة وتداولها في المجتمعات، وأنها من أهم مقومات الحضارة الإنسانية.

ولقد كانت اللغة العربية ، وما زالت وثيقة الأواصر بهوية هذه الأمة، ووجودها وشخصيتها، وخصائصها ، فقد وعت منذ أمد بعيد تكوين الأمة الحضاري، وواكبت تطور تراثها الثقافي في العلم والآداب والفنون والتشريع والفلسفة ، وتعهدت نقله من جيل إلى جيل عبر العصور فهي قلب الأمة النابض وجهازها المحرك⁽¹⁾.

ومعروف أن اللغة العربية من اللغات الموعلة في القدم، فنحن نعرف أنها كانت في أوج اكتمالها ونضجها منذ نحو ستة عشر قرناً، وكانت لهجات القبائل العربية في الجزيرة العربية قد تفاعلت فيما بينها وتكاملت في لهجة قريش، أهل مكة التي كانت مركزاً للحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية تؤمه القبائل لزيارة الكعبة الشريفة، وللمفاخرة والتنافس في الشعر والخطابة.

واللغة جوهر الهوية ، والمتأمل في تاريخ اللغة العربية قبل الإسلام يجد أنها كانت مزدهرة مكتملة النمو في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكانت مصدر تنافسهم وإجادتهم، وكانت لهم أسواقهم ومساجلاتهم ومناظراتهم وبالطبع فهي أداة فنونهم وتعبيرهم ومصدر اعتزازهم.

وقد اهتم العرب بلغتهم ؛ لأنها كانت الوسيلة التي يستخدمونها في التحدث بمآثرهم، والتغني بأمجادهم، وكانت سلاحهم في المناظرات والمنافرات، ومن هنا كان

(1) راجع : من قضايا اللغة العربية المعاصرة . المنظمة العربية للتربية - إدارة الثقافة - مطبعة المنظمة
1990م ص 123.

العربي يتعصب للغة قومه، ويباهي بصفاء لهجته، وكان يحرص على تنقية لغته، ويولي أبناءه عناية خاصة، فينشئهم في البوادي، ويبعدهم عن الحواضر التي تختلط فيها اللغات.

وقد كان للعرب لهجات مختلفة الفروع ممتدة الأصول، ومما اشتهر منها عججة قضاة، وعننة تميم، وقد تكونت بجانب هذا اللهجات القبلية المختلفة التي تنطق بها كل قبيلة، ولا يعسر فهمها على سائر القبائل لغة مثالية خالية من العيوب ، هي لغة المجتمعات الأدبية، ولغة الشعر والخطابة ، انصهرت فيها جميع اللهجات واللغات العربية ، وتكونت من أحسن ما في تلك اللغات من عناصر، ونفضت عنها جميع العيوب التي وسمت سائر اللهجات، فبرزت أحسن بروز في الأدب الجاهلي الرفيع، وقد طغت على تلك اللغة المثالية لهجة قريش لأنها أقل اللهجات عيوباً وأفصحها بياناً⁽¹⁾.

ومن أهم أسباب ذلك ما كان لقبيلة قريش من نفوز أدبي وديني وسياسي قد لعب دوراً بارزاً في ربط اللغة العربية بالسيادة والهوية، ومن أسباب هذه السيادة: أولاً : الأسواق: وهي أمكنة في شتى أنحاء الجزيرة العربية ، كان العرب يختلفون إليها في أوقات معينة لشؤون تجارية وقضائية وأدبية وغيرها. وكانت هذه الأسواق أشبه بمعارض عامة يفد إليها الناس من مختلف أنحاء الجزيرة، ومن أشهرها سوق عكاظ قرب مكة، ومجنة وذو المجاز وكلاهما في ضواحي مكة. وكان الكلام في هذه الأسواق بلغة يفهمها الجميع، يتوخى الشاعر أو الخطيب الألفاظ الفخمة ، والأساليب العالية في لغة مثالية موحدة تروق كل سامع، ومن ثم كان للأسواق أثر بليغ في توحيد اللسان وتعميم اللغة المثالية، وتغليب لهجة قريش على سائر اللغات لأن أشهر الأسواق في بلادهم ، وهذا ما حقق لقريش السيادة الوطنية في الجزيرة العربية.

وقد كانت مكة محطاً للقوافل من عهد بعيد، وكانت موطن قريش، وموضوع إجلال العرب لما ورثته من شرف وسؤدد وثناء، كما كانت مقام الكعبة يفد إليها

(1) راجع : تاريخ الأدب العربي. حنا فاخوري - المطبعة البوليسية - بيروت - لبنان (د.ت) ص 9.

الحجاج من جميع الآفاق، فقد كان لقريش نصيب وافر في توحيد اللغة؛ فقد هذبت لهجتها بما أخذته من لغات القبائل الوافدة على بلادها، مما خفّ على اللسان، وعذب في السمع، وكان العرب يقلدون لسانها، والشعراء والخطباء يؤثرون ما هو من ذلك اللسان؛ لأن أهمّ الأسواق كانت في قريش والمحكمين فيها منهم في أحيان كثيرة، وكان الشعر ينتشر في تلك الأصقاع في جميع نواحي البلاد حاملاً إليها لهجة قريش وأساليبها.

وللأدب فضل كبير في نشر اللغة المثالية؛ لأنّ الأدباء يحاولون نشر إنتاجهم في جميع الأوساط ليزيع شأنهم ، وتسمو منزلتهم، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان منشوراً بلغة يفهما جميع من يطلع عليها، وذلك يتطلب أن يكون بلغة عامة، غير متأثرة بلهجة معينة. ولذلك كان الأدب من العوامل المهمة في نشر اللغة المشتركة ووضح ذلك من خلال الأسواق الأدبية التي يُبرز فيها الشعراء آثارهم، ويعرضون فيها ما جاءت به قرائحهم، وقد يتطلب ذلك من الشعراء في العصر الجاهلي أن يعملوا على نشر آثارهم بلغة يفهما الجميع، وكان ذلك إيذاناً بوجود اللغة المشتركة بين العرب جميعاً، وهي القرشية التي ارتادها جميع المتكلمين.

ومن الأسباب التي هيأت السيادة لهجة قريش ما يمكن أن نجمله في الآتي:

أولاً : النفوذ الديني : فقد كان لقريش مكانة دينية ممتازة ، لقيامهم بصدانة البيت الحرام الذي يقدون إليه لتقديم قرابينهم، وتقديس آلهتهم ، وشهود منافع لهم، فكانوا لذلك موضع تقديس العرب جميعاً.

ثانياً : النفوذ التجاري : وقد كان للقرشيين سلطان اقتصادي كبير، فقد كان زمام التجارة بأيديهم، فيجلبون البضائع من الشام صيفاً واليمن شتاءً ، ويوزعونها على القبائل العربية، فأصبحوا قبلة أنظار العرب جميعاً، وقد حدثنا كتاب الله تعالى بذلك فقال : **چأ ب ب ب پ پ چ (1)**.

ثالثاً : النفوذ السياسي : وقد تهيأت لقريش مكانة سامية بفضل ما أوتوا من نفوذ ديني واقتصادي، ويرشدنا على ذلك ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق ؓ في رده

(1) سورة قريش الآيتان 1 - 2.

على الأنصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة النبي p : "لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفوسوا على إخوانكم ما حباهم الله من فضله"⁽¹⁾.

رابعاً : النفوذ اللغوي: وسبب ذلك من وجهة نظر الباحث وآخرين أنهم لم يقفوا حجر عثرة في سبيل تقدم لغتهم، بل عملوا على نموها، فأضافوا إليها ما هي في مسيس الحاجة إليه ، وما رأوه أخف على أسماعهم ، وأيسر على ألسنتهم، وقد استفادت كثير من المفردات والأساليب، ولاسيما النواحي التي كانت تنقصها ، فتتوعد فنون القول، وتمكنت من التعبير عن جميع الأغراض، وقد عنيت بالمترادف والمشارك والتضاد، وغيرها من الأمور التي كانت كبيرة الأثر في نمو اللغة وسعتها إلى جانب صيرورتها اللغة القومية للعرب جميعاً ، وكذلك صارت القرشية لغة الشعراء في أشعارهم، والخطباء في خطبهم، وهذا ما حقق لها السيادة ، وللعرب الهوية اللغوية من خلال الاتصال ببعضهم لتبادل المنافع المختلفة.

"وبهذا كانت اللغة هي الطريق الحية التي يسلكها الأدباء والشعراء، وما من أمة من هذه الأمم إلا ولها آثار في ذلك يستدل بها على ملامح شخصياتهم، وما كنا نعرف من الأمة العربية في الجاهلية لولا بروز شخصيتها عبر الفنون التي حملت إلينا صوراً من عقائدهم وثقافتهم وفكرهم السياسي، فكان أدبهم ركيزة من ركائز التعرف عليهم، ولوحة بارزة يُرى فيها ما يستدل به على ماضيهم.

ومن هنا كانت علاقة اللغة والأدب بشخصية الأمة علاقة وطيدة ، ولاشك أنه كلما كانت تلك العلاقة قوية منسجمة مع مبادئ الأمة وفكرها وثقافتها كان الأدب المعبر عنها قوياً مؤثراً صادقاً في نقل صورتها نقلاً واضحاً ينفذ عنها غبار السنوات الطوال اللاحقة في دروب الزوال"⁽²⁾.

ولما كان لقريش من نفوذ ديني وأدبي وسياسي واقتصادي ، كل ذلك أهلها لتلعب دوراً بارزاً وكبيراً في تعزيز السيادة، والهوية العربية من خلال ما رسمته للواقع اللغوي الذي برز تبعاً لهذا النفوذ، إلى جانب أن العرب لم ينغزلوا عن تأثيرات

(1) راجع: اللهجات العربية. د. إبراهيم محمد نجا . مطبعة دار السعادة- القاهرة- ط1، 1976م ، ص 17.

(2) راجع : علاقة الأدب بشخصية الأمة . عبدالرحمن العشماوي ، مكتبة العبيكان - الرياض ط 2 - 2004م

الحضارات المتاخمة، بل كانوا دائماً في احتكاك مع ما جاورهم مما أضاف إلى لغة عدنان ثورة الحضارة اليونانية وحضارات فارس والروم والحبشة عن طريق التجارة. حتى وصلت اللغة العربية إلى عصر الأدب الجاهلي راقية مزودة بمحاسن لغات عديدة، وحضارات كثيرة تستطيع التعبير عن كل شيء مهما دق وسما، حتى ظهر القرآن الكريم ؛ فثبتت اللغة وعمل على حفظها على مرور الزمان.

وإذا حاولنا أن نمثل لعلاقة اللغة بالسيادة الوطنية والهوية، نجد ذلك مرتبط بالأدب والشعر في العصر الجاهلي ، ويكون ذلك أوضح ما يكون تحت عباءة الفخر، فقد ذكر ابن رشيقي في باب الافتخار التعريف التالي له : "والافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخصص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار..."⁽¹⁾.

وأساس المجتمع الجاهلي في البوادي والقرى القبلية، والقبيلة جماعة من الناس يقال فيهم أنهم ينتمون إلى أصل واحد، وينحدرون من أب واحد، مما حقق لهم الشعور بالانتماء.

وإن الذي يجمع بعض أفراد القبيلة إلى بعض إنما هو الشعور بالصلة التي تربط بنيتها من تحصيل الرزق ورد العدو ونبل الحكم، بينما يكثر عدد أفراد القبيلة وهو ما يسمى بالعصبية القبلية⁽²⁾.

والواقع أن الذي يجمع أفراد تلك الجماعة إنما الشعور بالانتماء الذي يحقق قدرًا من الروح الجماعية التي تحقق لهم ما يمكن أن يكون قريباً من تحديد ملامح الهوية

(1) انظر: ابن رشيقي القيرواني . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - دار الجيل بيروت - ط5. 1981م، ج 2 ص 75.

(2) انظر : العرب حضارتهم وثقافتهم ، د. عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ط 2 1981م، ص 66.

المبحث الثاني

علاقة اللغة بالهوية الإسلامية

اللغة العربية حاملة الرسالة السماوية، ومبلغة الوحي الإلهي، ومعجزته الخالدة ، وإعجازه الأزلي ، ناشرة الدين الحنيف، وسفيرته إلى العالمين، فاتحة دعوته، ولسان شعائره ، جامعة الأمة وأصرة الملة، خالدة خلود الكتاب المنزل بها، محفوظة حفظ الوحي الناطق بها فهي مبدعة الحضارة العربية الإسلامية وحافظتها ، وراويتها بين الأجيال ، وذاكرتها على مر العصور ، لغة الإبداع العربي قبل الإسلام ، ولغة الإعجاز الإلهي بعده .

"لقد كان نزول القرآن الكريم على النبي العربي بداية مرحلة جديدة حاسمة في تاريخ البشرية ، عرفت بها الحياة المادية نقلة نوعية، فزكا عطاء اللغة العربية بقيم القرآن الكريم، وببلاغته وضروب بيانه ، لقد صارت العربية بفضل القرآن موحدة ، وبدت أشد رسوخاً وأبعد بياناً ، وأعمق تأثيراً ، فهي السبيل إلى فهمه ... ومن الثابت أن العربية تماهت بالإسلام منذ البداية ، وأصبح انتشار الإسلام رهين انتشار العربية"⁽¹⁾.

وفي ظل الفتوحات الإسلامية استطاعت اللغة العربية أن توسع رقعتها الجغرافية وتعمق رصيدها البشري، وتستميل الأتباع والأصقاع ، فأثرت بالحضارات التي التقت بها، واستوعبتها في المنظور الأسمى، صفاءً في العقيدة ، وبعداً في الإنسانية ونفساً جديداً في الإبداع.

وفي ظل الإسلام سمت اللغة العربية فوق العرق والجنس ، فجمعت الناس بأصرة العقيدة وجاذبية اللسان "لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب الحضارات المختلفة الفارسية والهندية واليونانية ، وأن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع إنسانية الرؤى"⁽²⁾.

ويوم أن اعتزت اللغة العربية بعزة الإسلام، وعاشت أزهى نمائها ، وأوفى عطائها عرفت كيف تكون الجسر الأمين لعطاء الحضارات الأخرى للحضارة العربية

(1) راجع : من قضايا اللغة العربية المنظمة العربية للتربية بإدارة الثقافة . جامعة الدول العربية ، ص 17.

(2) المصدر السابق ص 28.

الإسلامية، دون عقدة نقص، فوطنت الوافد الذي يفرضه التفتح ، من غير تقريط في الذاتي الذي تحتمه الأصالة.

وفي العصر الأموي وقبل عصر الازدهار ضمت الدولة الإسلامية شعبياً مختلفة الأجناس والألوان والأديان، ولكن كان العرب المسلمون أرقى الطبقات إذا ما قورنوا بغيرهم. فقد كانوا الطبقة الممتازة في الحياة الاجتماعية والإدارية والسياسية⁽¹⁾. ومن مميزات العصر الأموي أنه عصر الفتوحات العربية والإسلامية، وقد وجه الخلفاء والأمراء علماء العرب والمسلمين إلى دراسة الثقافات الفارسية واليونانية ليتمكنوا من التعامل مع أصحاب هذه الحضارات المرموقة ، لأنهم اطلعوا على علوم ومعارف لم تكن معلومة عندهم، وكان إقبال أهل الذمة على الدخول في الإسلام سبباً بغرض تعلمهم اللغة ليستطيعوا فهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . وعندما انتقلت الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد، وكانت بغداد في ذلك الوقت قد طغت عليها الحضارة الفارسية ، ولم يكن بدّ من أن يواكب العرب والمسلمون الثقافة الجديدة ، ومن هنا نشطت حركة الترجمة ، وقد كان من نتائجها انتعاش المكتبة العربية ، وبالتالي تطورت الحضارة العربية والإسلامية، واتسعت اللغة العربية بمصطلحاتها العلمية، وتعايرها الفلسفية مما جعلها سابقة لغيرها من الحضارات، كما ازدهرت المكتبات العامة والخاصة في البلاد كافة مما جعل الكل يندفع إلى القراءة التي كانت نتيجتها التطور العلمي، واندفع الأغنياء والفقراء إلى قراءة كتب الثقافة التي كانت لا تقدر بثمن، حتى صاروا من الخليفة إلى الرجل العادي طلاباً للعلم أو مناصريه⁽²⁾.

وفي هذا العصر العلمي والأدبي اتسقت العلوم والمعارف المكتسبة من الحضارات السابقة للإسلام من جوهرها مع الهوية العربية الإسلامية، وقد تزايدت حاجة الدولة العباسية إلى تلك العلوم. واقتضى تفردتها بالسيادة على العالم أن

(1) المصدر السابق ص 58.

(2) انظر: روائع الحضارة العربية الإسلامية . أ.د. علي بن عبدالله الدفاع - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ط1، 1998م ص 5 و 6.

تستوعب علوم الأوائل وحضاراتهم بتوطينها في العربية، وأن تنطلق منها إلى صياغة علمية وحضارية مستحدثة.

ولقد اعتمد ثاني الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور رؤية مستقبلية، وعزماً على التقدم، وقناعة بالمركزية الحضارية للدولة العربية الإسلامية، فاتجه إلى الحضارتين اليونانية والهندية، وأمر بتعريب المصادر اليونانية الأساسية في الهندسة والفلك والطب والطبيعة والمنطق ، لتكون مهاداً حقيقياً للنهضة العلمية العربية، وأغدق على المترجمين ، على الرغم مما عرف عنه من بخل وتقتير. ومما عُرّب برعايته كتب أرسطو في المنطق وغيره، وكتب أبقراط وجالينوس وغيرها وصارت هذه الكتب قاعدة لنهضة علمية عربية.

ولقد توصل المد التنويري في عهد هرون الرشيد، فشجع على نقل العلوم من اليونانية ، وأغدق على المترجمين، وحسب رواية القلقشندي ، فقد أمر هارون الرشيد بالكتابة على الورق بدل الجلود ، بعد أن عرف العرب الورق في (سمرقند) بوساطة من أسروا من الصينيين، فكان هذا تحولاً حاسماً في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية.

وفي ظل الخليفة عبدالله المأمون توطن العلم في اللغة العربية، وأحكمت الترجمة ، وازدهر التأليف؛ فانقلت الحياة العقلية انتقالاً جديداً، تناول المستويين المعرفي ، والمنهجي، والمنظومة القيمية، والإشكاليات الفكرية السائدة ، ويتولي هذا الخليفة القيادة الإسلامية، بدأ عصر جديد في تاريخ النهضة الفكرية، حيث بدأ الفكر العربي والإسلامي يتألق إبداعاً وابتكاراً، وحسن تأليف، ويطرح إشكاليات معرفية ومنهجية لم تكن مألوفة من قبل، وذلك للتطور الذي عرفته الحياة الفكرية بإفادتها من الثقافات المترجمة.

وقد أسس المأمون بيت الحكمة الذي تضافت فيه جهود المترجمين والمؤلفين في نطاق خطة علمية مدروسة تجمع بين التعريب الدقيق والتأليف والتطبيق، وقد أفاد المأمون في علاقته بملوك الروم فتحصل منهم على مصادر يونانية كثيرة جتد لتعريبها مترجمين مبرزين، كما أولى أهمية فائقة للمنهجية العلمية⁽¹⁾.

والنقلة العلمية عند المأمون جاءت مربوطة بالحرية، والمسؤولية وسيادة العقل واعتبار الموروث العلمي مملوكاً للإنسان لا مالكاً له ، وقد تعامل مع العلوم الأجنبية من موقع السيادة ، وشجع على نقلها إلى العربية لإزالة الحاجز بين أفراد المجتمع والعلم، وبذلك وطن في المجتمع، فأصبح جزءاً من النسيج الاجتماعي ، وقيمة متاحة لكل مقتدر من أبناء الأمة الإسلامية، وأن الأمر يختلف تماماً لو تصورنا عكس ذلك ، وهو محاولة تهجير العرب إلى العلوم الأجنبية في لغاتها الأصلية، فالعلم في هذه الحال لا يكن قاعدة من قواعد المجتمع، وإنما يكون قيمة مضافة تتقاضاها نخبة محدودة بمعزل عن المجتمع، ومجتثة من سياقها الحضاري دون أن تكون بمنجاة من التمزق والعقم إلى جانب الابتعاد عن الموروث الحضاري والترفع عنه في أحياب كثيرة.

وقد وجد الخليفة (المأمون) نفسه بين خيارين : تهجير المجتمع أو توطين العلم، وإنما انطلق في اتساق مع الشخصية الاجتماعية ، يُعرب العلم ويوطنه، فاستقامت سنن الإبداع ، وأينع اقتدار الأمة، وتحررت مواهبها، فصاغت هذا المزيج الرائع من الحضارات في لغتها الأصلية صياغة مستحدثة يسلكها التناغم والانسجام والابتكار.

والمستوى المعرفي الذي بلغه العرب في عصر سيادتهم للعالم يدل على مرحلة جديدة من تاريخ العلم والحضارة قد أنجزت ، فلقد صاغوا من موقع السيادة الوطنية والهوية العربية الإسلامية حضارات العالم القديم في لغتهم صياغة عالمية متميزة، أظهر ما اتسمت به أن علماءنا صرفوا أنظارهم إلى السماء والأرض معاً في يقظة

(1) انظر: القانون للمسعودي بالهند 1925م ص 656 ، واللغة العربية لغة القرآن ورسالة الإسلام.

عقلية وحسية متجلية على وفق مناهج تعتمد البرهان والتجريب، قصد منها الكشف عن أسرار الكون، والوقوف على خصائصه والسيطرة على مسالكه⁽¹⁾.

ومن خلال هذه المنهجية المعرفية اكتسبت الأمة العربية هوية صلبة اتسمت عناصرها بالتناغم والثبات، إذ إن اللغة العربية أصبحت عنصر توحيد ثقافي، وفكري، وروحي، وقد تماهت منذ البداية بالإسلام ديناً وحضارة؛ نظراً لأنها لغة القرآن الكريم، كما أن التراث الذي استوعبته تراث متماسك متفتح اجتهادي وعقلاني وطيلة عصر الازدهار العلمي والحضاري حقق الإبداع صفة العالمية.

وقد مكن ذلك اللغة العربية، فأصبحت اللغة المتداولة والعالمية، واللغة الرسمية للدولة كما حققت لها السيادة الوطنية، وحدد عبرها ملامح ومعالم الهوية العربية والإسلامية ولو تأملنا صفحات تاريخنا الإسلامي نجد أن الفضل في ذلك يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ثم إلى الخليفة الأموي العظيم عبدالملك بن مروان الذي كان صاحب الفكرة الأولى إذ جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في جميع البلاد الإسلامية، فهو أول خليفة عربي وإسلامي يرسم معالم الهوية العربية والإسلامية من خلال تحقق السيادة الوطنية عبر اللغة إذ جعلها لغة الحضارة الجديدة ووعاءً للفكر والثقافة، ثم توالى الجهود اللغوية والعلمية، وقد أكدت لنا كتب⁽²⁾ التاريخ أن الترجمة مرت من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية بمرحلة تعتبر من أهم المراحل التاريخية التي بدأت في العصر الأموي.

وكان حكيم بني أمية خالد بن يزيد بن معاوية أول من أعطى اهتماماً كبيراً للترجمة التي بلغت أوج عزها في العصر العباسي كما أوضحنا ذلك فيما سبق. وبهذا يجب أن نعلم علم اليقين أن كلاً من حاضر الأمم ومستقبلها لا يمكن بقاؤه بشكل فعال ومعطاء إذا لم يكن له اتصال قوي بالماضي، حيث إنه من الضروري أن يكون ماضي الأمة وسيلة لبناء كل من حاضرها ومستقبلها.

(1) راجع : الفهرست . ابن النديم . المطبعة الرحمانية مصر ص 21 وما بعدها . والعودة إلى الإسلام توماس

أرنولد ، ترجمة د. حسن إبراهيم - مكتبة النهضة المصرية 1957م ص 57.

(2) راجع : المدونة . ابن خلدون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان 1993م ، ص 62.

والأمة التي تحافظ على شخصيتها وملامح هويتها لا تهمل نمط ثقافة شعوبها، وأسلوب تكفيرهم، بل تسعى لترويض تلك الثقافات الدخيلة التي دفعتها إليها الحاجة لما فيها من معارف وعلوم، وما ذكرنا في هذا المبحث يؤكد هذه الحقيقة، ويدعم هذا الرأي ، فما تم فعله من ترجمات للعلوم والمعارف في زمن الازدهار الثقافي والعصور الذهبية للعرب والمسلمين ، ولهذا لما تشوّفت الأمة المسلمة في زمن عافيتها إلى علوم غيرها المكتوبة بلغات أجنبية ؛ فنقلتها إلى لغتها العربية ، وجردتها من اللسان الأعجمي ، فازدهرت بها، وراجت بالحرف والكلمة والصوت والمعنى العربي، في الوقت الذي أهملت فيه تلك العلوم في لغاتها الأصلية بسبب بروز الشخصية اللغوية للعرب، حتى أضحت كل العلوم في ذلك الوقت بلغة العرب⁽¹⁾. وصارت اللغة العربية بعد ذلك أداة الحضارة الإسلامية، فهي لغة العلم ، والتمدن والثقافة والتأليف في جميع العلوم المتاحة في ذلك العصر، وقد حقق هذا الحضور اللغوي الكبير مبدأ السيادة الوطنية، وأظهر ملامح الهوية العربية والإسلامية.

(1) راجع : التربية اللغوية العربية د. عدنان باحارث ، ص 64 وما بعدها .

المبحث الثالث

الواقع اللغوي والهوية العربية

الأمة العربية في وجودها المعنوي تمتد عبر ملايين من الناس في إفريقيا، وأسيا وأوربا ، وفي بلاد كثيرة تربطنا بها وشائج روحية وفكرية، وتصلنا بها لغتنا العربية العريقة، لغة القرآن الكريم كتاب الله وحديث رسوله الأمين في عروة لا انفصام لها . ثم هي بعد ذلك مناط شخصيتها ، ومستودع قيمها، والحفاظ على هذه اللغة العظيمة لم يعد ترفاً، بل هو التزام قومي وعقدي، فهي لسان العقيدة، ووعاء الفكر الإسلامي ونبع فياض لحضارتنا ومنطلق لمسيرتنا⁽¹⁾.

والعالم المعاصر الذي نعيش فيه ، ونود أن نلحق به يهتم في نشاط بارز بنشر لغاته ، ونحن في هذه الرقعة في هذا العالم نؤمن بأن اللغة العربية، والثقافة العربية جديرة بالتعريف بها لقيمها الذاتية العليا ، ولقدرتها في التعبير عن شخصيتنا العربية الإسلامية ، وهي التي تبرز ملامح سيادتنا وهويتنا.

وأن الركيزة الأساسية في علاقة اللغة بالهوية عن طريق الانطلاقة العلمية ستكون اللغة العربية من حيث كونها اللغة التي يستطيع أن يعبر بها الإنسان العربي عن جميع حاجاته الحضارية ، وعن كل ما يتعلمه من معارف وعلوم في جميع مراحل التعليم المختلفة، ومن حيث كونها لغة التدريس ، والبحث العلمي ولغة العلوم والتقنيات الحديثة .

وقد شهد الوطن العربي في العقود الأخيرة حملة كبرى تهدف إلى استعادة اللغة العربية مكانتها الحضارية من حيث كونها لغة الأدب، والفكر، ولغة الفن والعلم في مجالاته المختلفة ، وأدركت أمتنا العربية في أقطارها الممتدة من أفريقيا إلى آسيا أنّ تحررها الوطني ، واستقلالها السياسي لا يمكن أن يتكامل إلا باستعادة سيادتها ، واسترداد هويتها، من خلال لغتها العربية، والتي هي ليست مثل سائر اللغات القومية ، وإنما تتميز عنها جميعها بميزتين أساسيتين:

(1) انظر : وقائع تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، ج 3 - مكتب التربية العربي لدول الخليج 1981م0

أولاهما : أنها لغة القرآن الكريم الذي حفظها، وأعطى لأمتنا العربية مقوم وجودها الحضاري والإنساني.

وثانيهما : تلك التجربة التاريخية الخصبة التي مرت بها هذه اللغة ، عندما استطاعت في فترة من تاريخها الزاخر أن تستوعب حصيلة المعرفة الإنسانية. ولا بدّ لعودة السيادة الوطنية والهوية من وجود علاقة قوية ومتينة مع اللغة العربية، وذلك في أن نأخذ على عاتقها الدعوة لبحث المشكلات والقضايا التي يمكن أن تيسر عملية النقلة التاريخية في حياة أمتنا، بحيث تصبح اللغة العربية لغة العلوم والتقنيات الحديثة، ولغة البحث والتدريس في الجامعات العربية في مختلف فروع المعرفة مع الاهتمام بتعريف العلوم والتقنيات الحديثة استكمالاً للهوية العربية السياسية والقومية والثقافية إلى جانب أن الترجمة ركن أساسي من أركان نهضة الأمة وفي محاولتها للحاق بركب الحضارة ، ووقفنا على أثر ذلك في عصر الازدهار العلمي - في المبحث الثاني - والمشاركة الفعالة المبدعة في جميع مجالات المعرفة.

وقد طرحت هذه القضايا منذ منتصف القرن الماضي في مؤتمرات التعريب في الرباط والجزائر وطرابلس وبغداد ، ونظمت الندوات العلمية حول هذا الموضوع الحيوي في مجامع اللغة العربية ، وفي الجامعات، وقد تمخضت تلك المؤتمرات والندوات عن أبحاث مهمة، عالجت مختلف القضايا، وانبثقت عنها توصيات لم يحظ معظمها بالمتابعة والتنفيذ ومن المؤكد أن مثل هذه التوصيات لا تحظى بالمتابعة والتنفيذ إلا في ظل الإرادة السياسية للدول العربية ، وبقرار سياسي تتخذه الدولة في أعلى مؤسسات السلطة .

وحل هذه المعضلة ربما يسهل عن طريق ثورات الربيع العربي الإسلامي في ميلاد حكومات ديمقراطية تسهل لنا أمر المتابعة والتنفيذ في ظل إرادة سياسية حرة، مما يسهل ويعزز الشراكة والتضامن وتحمل المسؤولية من الجميع تجاه اللغة العربية وثقافتها، ومن خلال ربط الأفراد والمؤسسات الأهلية والحكومية ببعضها، وتشجيع كل الجهود التي تُعنى وتهتم باللغة العربية من أجل تحقيق شعار هذا المؤتمر -

أعني المؤتمر الدولي للغة العربية - الذي يقيمه المجلس الدولي للغة العربية تحت شعار (العربية لغة عالمية مسؤولة الفرد والمجتمع والدولة).

وقد كان لنا في السودان تجربة رائدة في هذا الجانب إذ أُتبع مجمع اللغة العربية لـ (رئاسة الجمهورية مباشرة) واستطاع في فترة وجيزة أن ينجز مشروعات ضخمة إذ قام بإنشاء عشر دوائر مختصة ، كل دائرة لها برنامج ونشاط معين ، وتضم في تكوينها الإداري رئيس دائرة في درجة (أستاذ) ومقرر دائرة لا تقل درجته عن (أستاذ مساعد) وعدد من الباحثين ، وقد كان لي شرف العمل في دائرة من هذه الدوائر (دوائر اللغة العربية واللهجات العربية في السودان) وكان مشروعها الأول إعداد معجم فصاح العامية في اللهجة العربية في السودان ومن هذه الدوائر - دائرة التعريب والترجمة - ودائرة الحاسوب - ودائرة اللغات السودانية ودائرة الإعلام ودوائر أخرى ، ولكل دائرة نشاطاتها المختلفة، كل دائرة في مجالها.

وقد حصل بذلك تفاعل علمي كبير امتزج بمقتضاه العنصر العربي بالعناصر السودانية المكونة للنسيج الاجتماعي السوداني في بوتقة الحضارة الإسلامية الذي أخرج لنا نموذجاً عربياً فريداً يمكن أن يُضاف إلى النماذج القومية التي يحفل بها العالم الإسلامي وقد أخرج لنا نموذجاً عربياً أفريقياً ، تفاعلت في أعماقه الثقافة العربية الإسلامية مع الموروثات المحلية التي أخرجت لنا مزيجاً ثقافياً لا يخرج عن إطار الإسلام العام ولكنه تميز بكنهته المحلية.

وتتاول علاقة اللغة بالسيادة الوطنية والهوية لا يكون إلا حين يتم الحديث عن الذات الثقافية وشخصية الأمة الشاملة للمعتقدات والتصورات والخصوصيات ، والجذور القومية ... فالثقافة تعني لكل أمة أفكارها، وقيمها، وعاداتها وأنماط سلوكها ، وطريقة حياتها في مختلف جوانب نشاطها الإنساني⁽¹⁾ ، وهي عند الأمة الإسلامية تعني : نهج حياتها في جميع جوانبها المختلفة⁽²⁾ ، حيث تتكون في التصور الإسلامي من عنصرين أساسيين : الأول: الشكل ، وتمثله اللغة، والثاني: المضمون

(1) انظر: محمد لبيب النجحي. الأسس الاجتماعية للتربية، ب دون تاريخ - دار النهضة العربية ، بيروت ص 150.

(2) عمر سليمان الأشقر . نحو ثقافة إسلامية أصيلة دون تاريخ، ص 21 و 27.

: ويمثله الإسلام⁽¹⁾ ومن هنا يظهر الارتباط الوثيق بين اللغة العربية من جهة والدين الإسلامي من جهة أخرى⁽²⁾. والدين واللغة منذ النشأة الأولى متداخلان تداخلاً غير قابل للفصل⁽³⁾، ولهذا فإن علاقة المسلم العربي بلغته أكبر بكثير من علاقة غيره بلغته.

واللغة ليست أداة للتواصل والتفاهم فحسب، وإنما هي أداة للتعبير عن الثقافة حيث تعكس مضامينها وأنماطها للعالم⁽⁴⁾، وذلك حين تستمد مضامينها، وموضوعاتها المختلفة من ثقافة المجتمع⁽⁵⁾، فتحفظ له بأمانة جميع ودائعه الثقافية⁽⁶⁾، ولهذا لا يمكن تعلم لغة ما إلا من خلال الثقافة والحضارة التي أوجدتها، فاللغة بمعناها الأوسع ما هي إلا تعبير عن مدنية ووعاء لتراث حضاري⁽⁷⁾.

واللغة العربية مع كونها أداة للنمو الروحي عند المسلمين حين دخلت في صلب فهم العبادة، فإنها إلى جانب ذلك لغة جميع المسلمين من كل جنس وإقليم، وبها يتعارفون ويتواصلون، فالمحافظة عليها محافظة على وحدة المسلمين الثقافية وهويتهم الدينية. وقد أدرك المستعمر الأوربي هذا المعنى في العلاقة بين اللغة والهوية، حيث قال الحاكم الفرنسي موجهاً جيشه الغازي لبلاد الجزائر: "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة"⁽⁸⁾.

(1) عبدالحكيم حسان . التأثير الأجنبي في الثقافة العربية الإسلامية - مجلة جامعة الملك عبدالعزيز . العدد (1) جدة . ص 73.

(2) محمود محمد شاكر . في الطريق إلى ثقافتنا ، مطبعة المدني - القاهرة - 1987م ص 43.

(3) أحمد شيخ عبدالسلام . التحليل النحوي . مجلة إسلامية المعرفة - العدد (12) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - ماليزيا ص 133.

(4) بسام بركة . اللغة العربية وخصوصية الشخصية العربية ، مجلة الثقافة النفسية ، العدد (10) بيروت، دار النهضة العربية 1999م .

(5) دوجلاس براون . أسس تعلم اللغة وتعليمها . ترجمة عبده الراجحي . علي علي أحمد . بيروت 1999م.

(6) علي أحمد . منهج التربية الإسلامية القاهرة ، دار الفكر العربي - 2000ك ص 108.

(7) عدنان با حارث - التربية اللغوية العربية - دار المريخ للطباعة - الرياض - ط 1 - 2005م.

(8) أحمد مطلوب . حركة التعريب في العراق . المنظمة العربية للتربية والثقافة ، معهد البحوث والدراسات بغداد 1983م - ص 6

وقد أدركت الأمم على اختلاف أصولها، وأقاليمها هذا المعنى الخاص للغة، والدور الخطير الذي تقوم به في حفظ الهوية والذات للأمة، ولاسيما في أجواء الواقع الثقافي العالمي المعاصر، الذي يميل نحو الانفتاح الفكري والثقافي واللغوي، ويفرض على الأمم واقعاً حضارياً عالمياً يحمل كل أمة مسؤولية المحافظة على هويتها وخصوصيتها، مما دفع الدول - ولاسيما المتقدمة منها - نحو اتخاذ التدابير الكفيلة للمحافظة على شخصيتها المميزة لها، وحماية هويتها الخاصة بها من الذوبان، وقد حظيت اللغات القومية في هذه الدول بالنصيب الأوفر من الاهتمام والرعاية ولاسيما لغة التربية والتعليم، فقد كانت قرارات الدول المتقدمة حاسمة وقوية في وجوب التعليم باللغة العربية لجميع العلوم، وفي جميع المراحل التعليمية⁽¹⁾.

والخطر الداهم الآن هو انتشار اللغة الإنجليزية والاهتمام بها بوصفها المفتاح على الثقافة والعلوم، مما يشكل خطراً على الهوية اللغوية للأمم الأخرى، وهي تفرض نفسها اليوم أكثر من أي وقت مضى وخاصة باعتبارها لغة العالم الأولى (العولمة) ومن المعلوم أن من أساسيات العولمة نشر اللغة الواحدة، وجعلها لغة العالم الأولى وإيهام البشر أن العلم والمعرفة، والإبداع والاختراع لا يكون إلا لمن رطن باللغة الإنجليزية، ودرّس العلوم والاختراعات بلغتها دون سواها⁽²⁾.

هذا وقد دفع ذلك كثيراً من الدول التي لا تتحدث بها - ولاسيما المتقدمة منها للدفاع عن هويتها ودوافعها في مواجهة هذا المد اللغوي الثقافي.

ولقد كان قرار الدول المعترزة بلغاتها وقومياتها، حاسماً في وجوب تعلم جميع العلوم الأجنبية المستوردة بلغة البلد القومية، ومن خلال عملية تنشيط الترجمة، فنجحت إلى حد كبير في ذلك دول مثل: فرنسا وروسيا وكذلك اليابان والصين... وحتى الكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين، والذي استمات في المحافظة على لغته العبرية - فقد نجح هو الآخر - إلى حد كبير في إحياء لغته من خلال التوسع

(1) راجع: أحمد محمد الضبيب . اللغة العربية في عصر العولمة - مكتبة العبيكان - الرياض ط 2 2002م - ص 27.

(2) انظر: بكرى شيخ أمين . اللغة العربية في مواجهة العولمة - مجلة أهلاً وسهلاً . إدارة العلاقات - الخطوط الجوية السعودية - 2004م

في استخدامها، وتدريسها في جميع المراحل التعليمية، وترجمة العلوم والمعارف إليها، وتقريبها من مراكز الحضارة والمدنية، حيث أخذ اليهود يدرسون بها العلوم والمعارف حتى أصبحت لغة الشارع العام في الأرض المحتلة⁽¹⁾.

ولعل في التجربة اليابانية مع العلوم والمعارف الأجنبية من أقوى التجارب الحديثة على إمكانية المشاركة في صناعة النهضة الحضارية العالمية مع الإبقاء على الخصوصية الثقافية واللغوية للهوية اليابانية، ففي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي زمن محمد علي باشا، حين قرر المصريون التدريس في الجامعات والمعاهد باللغة الإنجليزية، أصر اليابانيون على ضرورة التدريس باللغة اليابانية، وترجمة العلوم والمعارف الأجنبية إليها، فما أن أطل القرن العشرون حتى كان (97%) من الشعب الياباني متعلماً، وكانت نسبة الحاصلين على الشهادة الابتدائية في عام (1910م) مائة بالمائة⁽²⁾، ثم تتابعت إنجازاتهم العلمية ومشاريعهم الحضارية، ضمن سلسلة من النجاحات الباهرة مقابل إخفاق عربي عام في جميع الميادين العلمية، وتدني واضح في نسب المتعلمين⁽³⁾.

واللغة في حس الدول وشعوبها أكثر من مجرد أداة للاتصال والتفاهم، إذ هي هويات الأمم وخصوصياتها الثقافية والاجتماعية والروحية، وهي تاريخها وحضارتها، وهي أيضاً رمز وحدتها، وسر بقائها ودوامها، ولهذا كان التنافس بين الشعوب، واحتدام الصراع فيما بينها يتجاوز الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية، ليصل إلى الميادين المعنوية المتعلقة بالهوية والشخصية التي تمثلها اللغة القومية أبلغ تمثيل، من خلال المحافظة عليها نقية، وحمايتها من الذوبان في غيرها، ونقلها بقوة وأمانة للأجيال الجديدة.

ولقد ثبت واقعياً أن اندثار اللغة القومية ما هو إلا اندثار لذاتها، وغياب شخصيتها وحقيقتها وجودها، ولا أدل على ذلك من حال الهنود الحمر في القارة

(1) عزيز حيدر. دليل إسرائيل العام- بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1997م ط 3، ص 58، 59.

(2) انظر: جذور التربية اليابانية وخصائصها المميزة. د. محمد جابر الأنصاري ص 16 - 17.

(3) راجع: التربية اللغوية د. عدنان با حارث، ص 88.

الأمريكية حين غزاهم المهاجرون الأوروبيون، فعملوا فيهم عسكرياً وثقافياً حتى أفقدوهم لغتهم وبالتالي ذاتيتهم وهويتهم الخاصة⁽¹⁾.

ولقد استوعب المستعمر الأوربي هذا الدرس حين غزا بلاد المسلمين ، فعمل بدأب منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي على فصل المسلمين عن تراثهم الإسلامي ، حين سعى إلى إضعاف اللغة العربية، من خلال فرض اللغة الأجنبية، والترويج للهجات العامية، وبث الأدب الشعبي، وطرح فكرة استخدام الحرف اللاتيني والدعوة لإصلاح قواعد اللغة العربية وتطويرها ، أخذين في كل ذلك بتوصيات جمع من المستشرقين المتخصصين في شؤون الشرق الإسلامي، ومستخدمين عملاءهم في البلاد العربية لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية الخطيرة التي تستهدف في الظاهر اللغة العربية ، وفي الحقيقة تستهدف هوية الأمة الإسلامية في تراثها وحضارتها، وخصوصيتها الثقافية⁽²⁾.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على يقين المستعمر في أن اللغة ركن مهم من أركان الهوية الثقافية ، وأساس قوي من أسس السيادة الوطنية، وتشارك مع العقيدة والتراث في بناء الذات، ففي هدم اللغة هدم للذات، وطمس لمعالم الهوية ، وتقويض لأسس بناء السيادة والوطنية.

واللغة العربية اليوم تتعرض إلى خطر عظيم وهو (العولمة) التي تقوم على أن للعصر الحالي لغة واحدة، وخصائص واحدة تربط أهل الأرض جميعاً، وهذه المفاهيم المعاصرة لا يمكن أن تتماشى - بأي حال من الأحوال - مع نوع الهوية التي تحملها الأمة العربية لا في مضمونها الإسلامي، ولا في شكلها اللغوي؛ إذ إن المعاصرة بهذا المفهوم الاستعماري - لا تعدو أن تكون شكلاً من أشكال ذوبان الذات في الآخر، وتشكيل الشخصية العربية والإسلامية في قوالب جديدة مستوردة،

(1) راجع : الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ياسين صلاواتي ج 6- مؤسسة التاريخ العربي 1992م. ص 3005.

(2) راجع : الوحدة الإسلامية . محمد أبوزهرة ط 24 وما بعدها .

وعلى الرغم من الواقع المؤلم لحجم حضور اللغة العربية بين اللغات الحية الأخرى، وما قد يترتب مستقبلاً على هذا الواقع الخطير من ضياع الهوية العربية الإسلامية، فإنّ جهوداً كبيرة مضمّنة ، وتجارب جادة على المستوى الجماعي في البلاد العربية ، وعلى المستوى الفردي أيضاً قامت بهدف النهوض باللغة العربية، بحيث تكون لغة التدريس في جميع المراحل التعليمية، وكذلك لغة العلم في جميع التخصصات العلمية ولاسيما العلوم التقنية الحديثة، فقد نصت الاتفاقية الثقافية التي صدرت عن الحكومات العربية على الوصول باللغة العربية إلى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث، وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في مراحل التعليم في البلاد العربية .

وقد صدر عن مؤتمر العالم الإسلامي قرار تاريخي :بوجوب اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين في جميع أنحاء العالم، والعمل على نشرها وكتابة لغات العالم الإسلامي بخط النسخ العربي"⁽¹⁾ ثم أعقب ذلك في أعوام مختلفة صدور توصيات متعددة عبر جمع من المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة، وألحت بضرورة اعتماد اللغة العربية لغة لجميع العلوم والمعارف وفي جميع المراحل التعليمية، وبالرغم من أن كثير من هذه التوصيات لم تجد صداها- بصورة كافية - لدى كثير من المؤسسات التعليمية في البلاد العربية والإسلامية. فإن جهود بعض الرواد المدافعين عن اللغة العربية، وإصرارهم بضرورة تدريس جميع العلوم بها بما في ذلك العلوم الحديثة⁽²⁾ .

وقد أسهمت هذه الجهود في ترجمة كثير من الكتب العلمية المتخصصة إلى العربية، ودرست بالفعل كثير من العلوم الطبيعية والتطبيقية ونحوها بالعربية، حتى إن الجامعة الأمريكية في بيروت - في أول أمرها - درست العلوم الطبيعية باللغة العربية، وكان بعض المستشرقين من أعضاء هيئة التدريس بهذه الجامعة ممن يجيد العربية يدرس بها هذه العلوم الحديثة⁽³⁾ .

(1) راجع : اللغة العربية وتعليم الطب. حسين الهراوي - القاهرة ، مكتبة ابن سينا ص 100.

(2) المصدر السابق ص 139.

(3) راجع : أحمد مطلوب . حركة التعريب في العراق ، ص 120.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مقدرة اللغة العربية على استيعاب، ونقل العلوم الحديثة، إلا أنها في حاجة إلى نهضة أبنائها، وذوي السلطان من الأمة لاتخاذ التدابير الكافية والكفيلة بإعادة تأهيل اللغة العربية من جديد لموقع الصدارة، والريادة في جميع الميادين العلمية التطبيقية منها والنظرية.

وأهم ما يميز هذه الأمة أنها تتعامل بلغة واحدة عقيدة وسلوكاً ، وبحثاً، وتدریساً فلغة التراث ، ولغة القرآن ولغة الحديث النبوي واحدة ولغة الثقافة واحدة، رغم اختلاف البقاع وتشتت الأفكار بعوامل سياسية استعمارية إلا أن رابطة اللغة العربية التي حاول الاستعمار أن لا يمحو معالمها، إلا أنه يدرك تماماً أنها عامل مهم في استمرار ترابط الشعب العربي وسعيه نحو الوحدة السياسية، وقد صدق أحد الباحثين إذ قال : "لا تتم الوحدة السياسية ، وتستقيم النظم الاجتماعية في شعب من الشعوب إلا على أساس الوحدة اللغوية التي تصبح بالنسبة للشعب بمثابة رباط سحري يحذب أفرادهم بعضهم إلى بعض، وليوثقوا الصلة بينهم، فيفكرون بعقل واحد، ويشتركون بمشاعر وأحاسيس موحدة، ويتعاونون على ما فيه خيرهم جميعاً، وما يكفل لهم الأمن والاستقرار والرخاء.

ولاستشراف مستقبل اللغة لابد من النهوض باللغة العربية حتى تأخذ مكانها اللائق بها ، وتستعيد مجدها الذي نعتز به والذي يتمثل في رصيد ضخم من العلوم والمعارف والآداب والذي سجل في نوادر الكتب، ونفائس الوثائق وأندر المخطوطات.

الخاتمة

لقد أبرز هذا البحث جوانب عديدة تستطيع أن تفعل دور اللغة في بناء الذات العربية والإسلامية، مع التركيز على نماذج من المنهجية والمعرفة العربية والإسلامية في التعامل مع اللغة العربية في عملية البناء الفكري والحضاري للأمة، مع تأكيد أهمية لغتنا العربية التي تتجلى في كونها لغة العرب ووعاء القرآن الكريم والحديث الشريف للعرب ولغيرهم؛ إذن فهي عماد الشخصية المتميزة قبل الإسلام ، وناقلة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ومن هنا كانت الدعامة الأولى من دعائم السيادة الوطنية والهوية العربية.

وفي خاتمة هذا البحث لا ننسى أنّ هذه هي اللغة العربية التي وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً، وحملت نصه المعجز إلى آفاق المعمورة، وصادفت الحفاوة والترحيب أينما ذهبت، فتغلبت على اللغات المحلية في الشام والعراق وشمال أفريقيا والسودان فعربت مجتمعاتهم، وأزاحت لغاتهم المحلية عن صدر الثقافة والعلم، وأصبحت لغة العلم والثقافة في كافة البلاد الإسلامية، واستوعبت تراث الأمم السابقة ذوات الحضارة القديمة.

ويجب ألا نهدر أعلى ممتلكاتنا ، ونهزم أرقى صروحنا الفكرية، ونهمش شخصيتنا وكياننا ونذوب هويتنا ونضيع سيادتنا الوطنية ، ولا ننسى أن الأمة التي تفرط في لغتها فهي تفرط في عرضها أو تصبح أمة فاقدة الذاكرة لا تعرف لها ماضياً، ولا تستطيع أن تبني لها مستقبلاً فيصبح حالها كما قال أمير الشعراء:

مثل القوم نسوا تاريخهم * كلقيط عز في الناس انتسابا
أو كملقوب على ذاكرة * تشتكي من صلة الماضي انقضا

استناداً على كل ما تقدم انتهى هذا البحث إلى ما يلي من نتائج وتوصيات:

أولاً : النتائج :

- إن اللغة العربية أوسع اللغات مدى، وأغزرها مادة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية في استيعاب كل المصطلحات .
- قوة اللغة وسعة انتشارها وتماسك بنائها دليل على قوة ثقافتها وإثبات لهوية وسيادة الناطقين بها.

- أثبت الاستقراء التاريخي أن اللغة العربية لغة العلم والتقدم والثقافة والتأليف في جميع العلوم .
- إن الفكر الأصيل لا يمكن أن يظهر في الأمة إلا إذا كان أبنائها يتقنون لغتهم ويحتفون بها.
- امتلاك السيادة الثقافية داخلياً وخارجياً يتوقف في الأساس على سيادة اللغة العربية في وطنها وبين أبنائها.

ثانياً : التوصيات :

- إعداد النشء إعداداً لغوياً سليماً يؤهلهم لفهم لغتهم العربية.
 - العمل الجاد لمحاربة تدريس اللغات الأجنبية في التعليم المدرسي والتعليم الأساسي لأنه يؤثر بشكل كبير على سليقة الطفل العربي وفطرته اللغوية.
 - تأكيد الشعور بالانتماء القومي في هذا العصر عصر العولمة في بناء الأصالة اللغوية.
 - تفعيل التوصيات وتعظيم دورها والنهوض بها وإنجازها فعلياً على أرض الواقع .
 - تكثيف المادة الأدبية في الإعلام المرئي والمسموع في لغة أصيلة.
 - الدعوة إلى إنشاء قنوات فضائية خاصة بالبرامج العلمية والثقافية والأدبية.
 - إحداث جوائز كبرى يشرف عليها المجلس الدولي للغة العربية وفي مقدمة هذه الجوائز جائزة للإبداع العربي وجائزة للفكر العربي.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

قائمة المصادر والمراجع والدوريات

أولاً : المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

- (1) إبراهيم محمد نجا. اللهجات العربية- مطبعة السعادة - القاهرة ط 1 1976م.
- (2) ابن تيمية. أحمد بن عبدالحليم - اقتضاء الصراط المستقيم - تحقيق محمد حامد الفقي - دار المعرفة - بيروت .
- (3) ابن خلدون. المقدمة - ج 1 - دار الكتب العلمية - بيروت - 1993م
- (4) ابن النديم. الفهرست - المطبعة الرحمانية - مصر - دون تاريخ
- (5) أحمد عبده. في فضل اللغة العربية - مركز الكتاب للنشر - القاهرة ط1 2000م .
- (6) أحمد مطلوب. حركة التعريب في العراق. معهد البحوث والدراسات - المنظمة العربية - العراق .
- (7) أحمد محمد الضبيب . اللغة العربية في عصر العولمة - مكتبة العبيكان - الرياض - ط 2 2002م .
- (8) أحمد هيكل. في الأدب واللغة. الدار المصرية للكتاب - القاهرة - ط1- 1998م
- (9) توماس آرنولد. الدعوة إلى الإسلام- ترجمة حسن إبراهيم - مكتبة النهضة - القاهرة ط 2 - 1957م .
- (10) حنا فاخوري - تاريخ الأدب العربي - المطبعة البوليسية - بيروت - لبنان د.ت.
- (11) دوجلاس براون - أسس تعلم اللغة وتعليمها - ترجمة عبده الراجحي وعلي علي أحمد - بيروت - دار النهضة العربية - 1999م .
- (12) رشدي طليمة . الثقافة العربية الإسلامية بين التدريس والتأليف - دار الفكر العربي - القاهرة - ط 1 - 1998م .
- (13) ساطع الحصري. آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ط 3- القاهرة 1957م.

- (14) السيد خضر . اللغة العربية ومشكلاتها وسبل النهوض بها- القاهرة، دار الكتاب ط 1 - 2003 م .
- (15) عبدالرحمن العشماوي- علاقة الأدب بشخصية الأمة - مكتبة العبيكان- الرياض ط 2 - 2002 م .
- (16) عبدالكريم خليفة اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث- دار الفرقان . عمان - الأردن - ط 3 - 1992م.
- (17) عدنان حسن باحارث - التربية اللغوية العربية - دار المجتمع للطباعة الرياض ط1 - 2005م.
- (18) عزيز حيدر . دليل إسرائيل العام - ط 3 - بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1997م .
- (19) علي أحمد مدكور - منهج التربية الإسلامية - أصوله وتطبيقاته - دار الفكر العربي - القاهرة ط 1- 2000م .
- (20) علي الشابي. اللغة العربية لغة القرآن ورسالة الإسلام ط2، دار العلم للملايين بيروت - لبنان.
- (21) كمال بشر . علم اللغة الاجتماعي - دار غريب - القاهرة ط 3 - 1997م
- (22) محمد أحمد خلف الله. علاقة الهوية والتراث بالإسلام - المركز الإقليمي للبحوث -القاهرة - ط 1985م.
- (23) محمد لبيب النجيجي - الأسس الاجتماعية للتربية - ط 7 - دار النهضة العربية - بيروت - د.ت.
- (24) محمود محمد شاكر. في الطريق إلى ثقافتنا-مطبعة المدني - القاهرة 1987م.
- (25) هاشم دفتردار المدني - طلائع الفكر والأدب ج 1- دار الشروق جدة ط1، 1984م .
- (26) هيثم الخياط - نحو ثقافة إسلامية - دار الوفاء - القاهرة ط1- 1997م.
- ثانياً : الدوريات :**

- (1) أحمد شيخ عبدالسلام. التحليل اللغوي - مجلة إسلامية المعرفة - العدد (12) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - ماليزيا - 1999م .

- (2) بسام بركة - اللغة العربية وخصوصية الشخصية العربية - مجلة الثقافة النفسية
العدد (3) بيروت - دار النهضة العربية.
- (3) بكري شيخ أمين. اللغة العربية في مواجهة العولمة - مجلة أهلاً وسهلاً - إدارة
العلاقات العامة - الخطوط الجوية السعودية - جدة - المملكة العربية السعودية
.
- (4) عبدالحكيم حسان. التأثير الأجنبي في الثقافة العربية الإسلامية - مجلة جامعة
الملك عبدالعزيز. العدد (1) جدة السعودية .